

## سلسلة دعوت ري

### لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

في دعاء القرآن في سورة الأنبياء ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 87-88].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» [أحمد والترمذي].

هذا الدعاء أوله توحيد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ وأوسطه تسبيح ﴿سُبْحَانَكَ﴾ وآخره اعتراف بالذنب ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ نحن جميعاً نزل أقدامنا لكن الفرق بيننا فيما بعد الذنب، ففرق كبير بين من يذنب ويضحك وبين من يذنب ويكي، فرق كبير بين من يذنب ويصر وبين من يذنب ويستقيل يتوب يندم يعترف، فرق كبير بين من يذنب ويجاهر وبين من يذنب ويستتر، فرق كبير بين من يذنب ويعود إلى ربه وبين من يذنب ويدعو الآخرين إلى الذنب، لذلك قالوا إذا أذنبت لا تفعل خمساً... لا أستطيع أن أقول لك لا تذب؛ لأننا بشر نزل أقدامنا، نتمنى أن لا نذب، يؤذينا الذنب ويتعبنا الذنب، ولكن إذا أذنبت فلا تفعل خمساً:

1. لا تُسر وتضحك وتفرح بالذنب، ولا تقل فعلت ما لم يفعله أحد، ولا تخالف جبار السموات والأرض.

2. لا تصر بقولك كنت هكذا ومازلت وسأبقى على ما أنا عليه من الذنوب والمعاصي، لا تقل أصدقائي هؤلاء الذين يعصون الله لن أتركهم، هم أصدقائي منذ عشر سنين، وسأظل

معهم إلى الموت. لا تصر على ذنوبك وعلى مخالفة رب العالمين, ليست المشكلة في أن تذنّب ولكنّ المشكلة في الإصرار على الذنب؛ لأنّ الإصرار على الذنب أكبر من الذنب. 3. لا تجاهر بالذنّب. ليس من الصواب إذا أذنبت ذنباً أن تخبر العباد, ليس من الصواب إذا تزوجت أن تطلب من زوجك أن تخبرك عن أفعالها قبل الزواج, ولا أن تحدثها عن معاصيك قبل الزواج, وما تسمعون في الأفلام والتمثيلات فحش ونشر للرديلة تحت عنوان الإخلاص, فإذا كان مخلصاً يحدث زوجته عن معاصيه, من أذن لك أن تخبر العباد بمعاصيك, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإنّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»** [البخاري] سترك الله فلم تفضح نفسك, يقول: أنا بفعلتي هذا مخلص لزوجتي وهي تقول نفس الكلام, وكم من قصص مبكية جراء هذا الفحش الذي ينشر عبر الأفلام والمسلسلات ويصدقه أبناءنا وبناتنا.

4. لا تستصغر الذنب, ولا تقل إنّ فعلتي أهون من فعل غيري, كل ما فعلته شرب الأريكة انظروا إلى غيري يتعاطى المخدرات والحشيش, انظروا إلى غيري فأنا لا أرتشي إلا بالآلاف وغيري يرتشي بالملايين, علاقتي مع البنات سطحية مجرد كلام وسلام وذهاب وإياب, انظر إلى غيري ما الذي يفعله, فلا تستصغر الذنب لأنك إذا استصغرت له لن تتركه. عن بلال بن سعد, قال: **((لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر من عصيت!))** [تاريخ بغداد]. يقول الله لك **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾** [النور:30] فقلت له: لا أريد غض البصر, قال الله لك **﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾** [المائدة: 1] قلت له: لا أريد أن أفي بالعقود, فهل أنت تتحمل الوقوف في وجه الله تعالى؟!

5. لا تدع إلى الذنب, لا تدع إلى الذهاب إلى السينما, لم تعمل بدل إبليس؟! إبليس ليس بحاجة إلى موظفين, لا أحد يذهب إلى مكان فيه معصية ويدع أحداً من أصدقائه, إذا ابتليت أنت فلا تدع أحداً غيرك إلى ما ابتليت به من المعاصي, إذا ابتليت بالدخان لا تخرج من جيبك الدخان وتدع صديقك إليه.

**﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** إنّ آدم عصى ربه وإبليس عصى ربه, لكنّ الفرق بينهما بعد الذنب, فأما آدم فاعترف بذنبه وأما إبليس فأنكر, قال الله تعالى على لسان آدم عليه

الصلاة والسلام ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] أنا أذنبت يا رب، أنا أخطأت يا رب، تب علي، وأما إبليس -لعنه الله- قال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12] يقول: لا أنا لم أخطأ ولم أذنب.

آدم بعد الذنب تاب، وأصر إبليس ﴿قَتَلْتَنِي آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ قَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37] يقول: أرجوك يا رب أخطأت وأذنبت وأعترف بذنبي فاغفر لي، وأما إبليس ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: 14] هو عاصي ومخالف وفاجر ومع ذلك يقول أنا لن أنصالح ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ \* قال فيما أغويتني لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [الأعراف: 15-16] قال المفسرون: انظر إلى كفره وجرمه لم يقل بما أخطأت أنا، بل قال أنت بما أغويتني أنت يا رب، فتاب آدم وأصر إبليس، كلنا يخطأ فإذا أخطأت عُدْ إلى الله تعالى واعترف بذنبك وتب، فهذا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو من هو رتبة يقول: ﴿لَوْ يُوَاخِذُنِي اللَّهُ وَابْنُ مَرْيَمَ بِمَا جَنَتُ هَاتَانِ يَعْنِي الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا لَعَذَّبْنَا ثُمَّ لَمْ يَظْلِمْنَا شَيْئًا﴾ [صحيح ابن حبان] أنا مقصر مع رب العالمين وإذا آخذني بما جنته أصعباي لعذبي.

كتب عمر بن عبد العزيز قال: ((تصدقوا قبل الصلاة وقولوا كما قال أبيكم ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] وقولوا كما قال نوح ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: 47] وقولوا كما قال إبراهيم ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: 82] وقولوا كما قال موسى ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: 16] وقولوا كما قال ذي النون ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (().

إذا زلت قدم أحدنا مناسب جداً في الأوقات عامة وفي رمضان خاصة أن يقلع عن الذنب، وأهم قضية في الإنسان المريض أن يعترف بأنه مريض، فمن المستحيل أن يشفى إنسان إذا لم يقر بأنه مريض. فلو قلنا له مثلاً يا أخي هذه الأعراض أعراض الزائدة الدودية، ولو تركتها ستنفجر، فيقول: لا أنا لا يوجد لدي هذا المرض، أنتم من تحتاجون إلى العلاج. مثل هذا من المستحيل أن يعافى بل ستنفجر زائدته الدودية ويموت.

أول خطوات العلاج أن تعترف أنك مريض, إذا مرضت أول خطوات العود إلى الله أن تعترف  
بذنوبك بينك وبين الله, نحن لا يوجد في إسلامنا كرسي اعتراف, ولكن بينك وبين الله قل له يا  
رب سامحي أنا قصرت أخطأت ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي:

يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف  
أبشر بقول الله في آياته إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف  
نحن الآن في العشر الثاني من رمضان, من كان منا مقصراً في أمرٍ أمره الله عز وجل به, من كان  
منا مقيماً على أمرٍ يخالف الله فيه, وأنت في سجودك بينك وبين ربك قل له إني أخطأت وإني  
أعتذر إليك.

الأحاديث المنقولة عن رب العالمين مبشرة جداً لمن أقبل على الله عز وجل, عن أنس بن مالك  
رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم  
إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي, يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان  
السماء ثم استغفرتني غفرت لك, ولا أبالي, يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني  
لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» [الترمذي]. فقط قل لربك بأنك أخطأت وتريد العود إليه.

الآيات والأحاديث مبشرة, لكن بشرط أن تقول له: أنا أخطأت معك وأنا عائد إليك, وتبدأ  
لتضع مسيرتك على الصراط المستقيم والله سيعينك, لذلك مناسب جداً ونحن في العشر الثاني من  
رمضان من كان منا بعيداً أن يعود إلى القرب, ومن كان منا مقيماً على الذنب مقصراً في فرض  
تاركاً لأوامر الله عز وجل أن يقول لربه سامحي أن يقول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ  
الظَّالِمِينَ﴾ والصالحون قالوا: ((الصلح مع الله يخلق بلمحة)), لكن فقط قل لربك من قلبك بأنك  
تريده, فما إن يجد في قلبك صدقاً بأنك تريده سيسهل لك طريق الوصول إليه, نسأل الله عز وجل  
أن يجعلنا من المقبلين عليه في رمضان وبعد رمضان.

**وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.**  
**والحمد لله رب العالمين.**